نبذة عن المؤلف والكتاب.

اسمه	هو الإمام المعروف أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي البغدادي، نسبة إلى درب الآجُرّ، وهي محلة ببغداد غربي النهر.
نشأته	نشأ الآجُرِّي –رحمه الله– في بغداد، وكان مولده في أواخر القرن الثالث الهجري، سنة (٢٨٠هـ)، بقي في بغداد نحواً من خمسين سنة إلى سنة (٣٣٠هـ) تعلم بها، وعلّم، وحدّث، ثم ذهب إلى الحج، فلما دخل مكة أعجبته وجاء في كتاب وفيات الأعيان في ترجمته: "أنه سأل ربه إقامة بمكة سنة، وأنه سمع هاتفاً يقول: بل ثلاثين سنة"، الله أعلم بهذا، لكن حينما حج أقام بعد ذلك بمكة ثلاثين سنة حتى توفي –رحمه الله– سنة (٣٦٠هـ)، فكان عمره –رحمه الله– قد بلغ الثمانين أو قارب الثمانين.
مزايا الكتاب	كتاب مُسند، يعني: أنه يسوق الروايات بالأسانيد، روى فيه عن أربعة وعشرين شيخاً، فهذا عدد كثير من الشيوخ.
	سهولة العبارة ويسرها.
	التأصيل: فحينما يذكر جملة من الآداب أو القضايا التي ينبغي مراعاتها فإنه يدلل على ذلك من القرآن والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين، ثم بعد ذلك يذكر أقوال العلماء –رحمهم الله تعالى.
ما سنتناوله في الكتاب	يتم الشرح والتعليق على الكتاب لكن سيتم حذف بعض الأمور: *حذف الروايات الضعيفة، سواء كانت مرفوعة أم غير ذلك، وكذا ما قد يُبْنَى عليها من الأحكام أو الآداب. * حَذْف الروايات المكَرَّرَة، وحَذْف الأسانيد.

شرح أخلاق حملة القرءان

د. أم مارية الأثرية " آلاء ممدوح محمود"

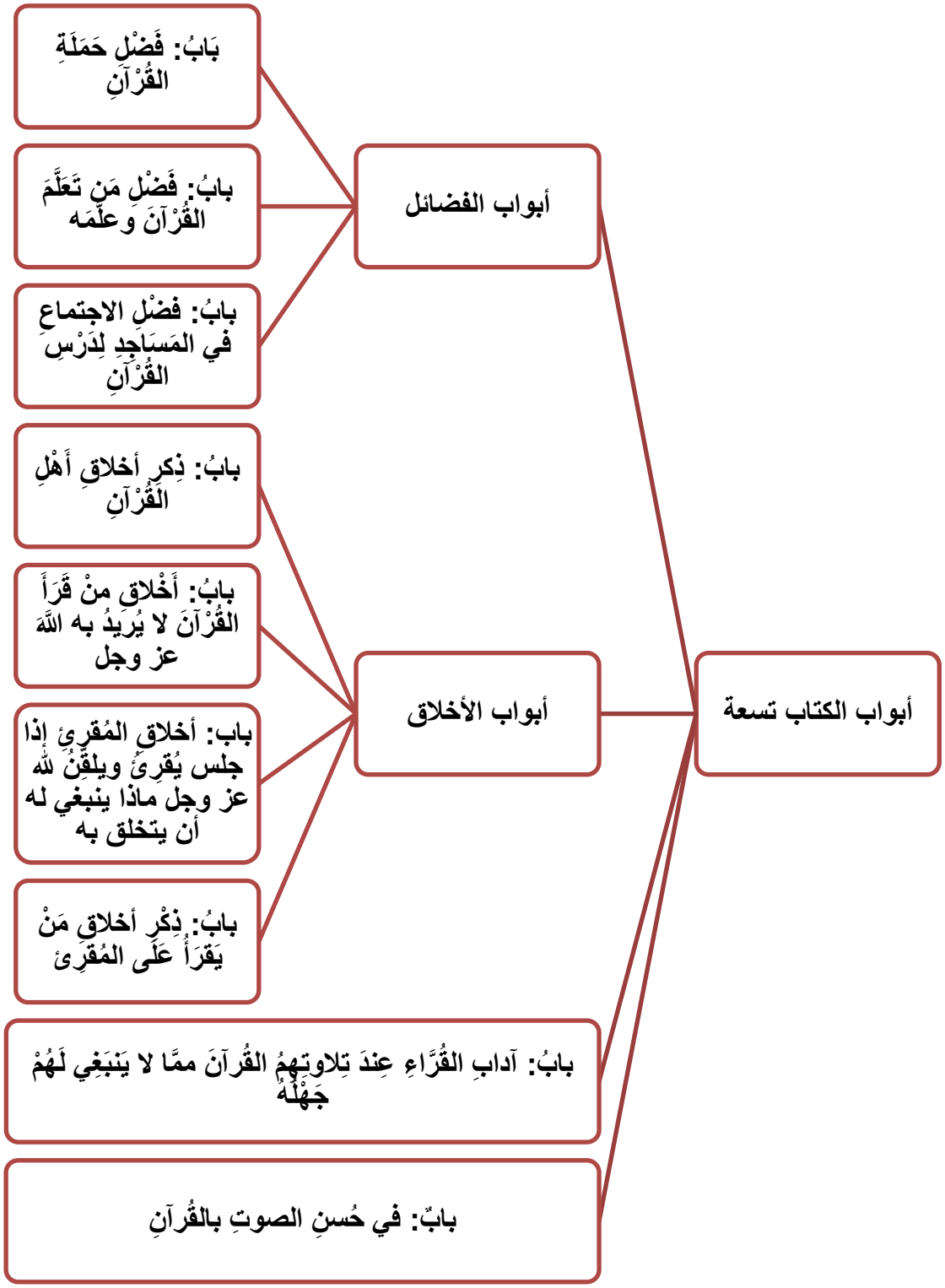

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الآجُرِّيُّ رحمه الله:

أَحَقُّ مَا أَسْتَفْتِحُ بِهِ الْكَلامَ، الْحَمْدُ لِمَوْلانَا الْكَرِيمِ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ مَا حَمِدَ بِهِ الْكَرِيمُ نَفْسَهُ، فَنَحْنُ نَحْمَدُهُ بِهِ:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)} [الكهف].

الشرح

أَحَقُّ مَا أَسْتَفْتِحُ بِهِ الْكَلامَ، الْحَمْدُ لِمَوْلانَا الْكَرِيمِ	بدأ المؤلف بحمد الله وهو أول ما يبدأ به، فقد بدأ الله كتابه بالحمد، وافتتح عدة سور بالحمد. الحمد هو الثناء على الله مع كمال المحبة والتعظيم.
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا	**الْحَمْدُ لِلَّهِ** : لما كان موضوع الكتاب آداب حملة القرءان، ناسب أن يحمد الله على فضله بإنزال الكتاب الذي فيه الهداية والصلاح والفلاح.
	عَبْدِهِ: هو محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.
	الْكِتَابَ: القرءان، خاتم الكتب وأعظمها المهيمن عليها.
	وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا: أي أخباره لاكذب فيها، وأوامره لاظلم فيها.
	قَيِّمًا: أي مستقيمًا، تفضي بالعبد إلى كل فضل ورفعة وشرف.
	لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ: القرءان كتاب نذارة وبشارة، نذارة لمن عصى وأعرض وتكبر بالعذاب الشديد الأليم، وبشارة للمتقين المؤمنين بجنات النعيم.

قال المصنف

و{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)} [سبأ].

"الشرح"

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ	خص الحمد في الآخرة رغم أن الله له الحمد في الدنيا والآخرة، لأن الآخرة يظهر فيها من حمده والثناء عليه مالايكون في الدنيا. كما في حديث الشفاعة الطويل قال النبي: {فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فأَقَعُ ساجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ ويُلْهِمُنِي مِن مَحامِدِهِ، وحُسْنِ الثَّناءِ عليه شيئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي} الراوي : أبو هريرة | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٩٤ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ	الحكيم أي ذو الحكمة يضع الشيء في موضعه، الخبير أي المطلع على بواطن الأمور وخفاياها.
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ	أي ما يدخل فيها من بذور ونباتات، وأموات.
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا	من ثمار ونباتات ومياه وغير ذلك لايخفى عليه منها شيء.
وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ	وما ينزل من مطر وملائكة ورحمة.
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا	أي ما يصعد إليها من ملائكة وأعمال وكلم صالح، وهذه الآية فيها بيان علم الله وسعته وإحاطته.
وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ	وهذا هو الموضع الوحيد في القرءان الذي تقدمت فيه الرحمة على المغفرة، أما في باقي القرءان سبعين موضع ذكر الغفور الرحيم وذلك: لتأخر المغفور لهم في سياق الآية، والمغفرة لا تأتي إلا

	للمكلَّفين والمذنبين الذين يغفر الله تعالى لهم لذا اقتضى تأخير الغفور لتأخر المغفور لهم في سياق الآية. أما في باقي سور القرآن الكريم فقد وردت الغفور الرحيم؛ لأنه تقدّم ذكر المكلَّفين فيذنبون فيغفر الله تعالى لهم فتطلّب تقديم المغفرة على الرحمة."

قال المصنف

أَحْمَدُهُ على تواتر إحسانه وقديم نِعَمِه، حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مولاه الْكَرِيْمَ عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُهُ عَلَيْهِ عَظِيمًا. وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ، وَالشُّكْرَ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، إِنَّهُ {ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)} [آل عمران].

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَأَمِينِهِ عَلَى وَحْيِهِ وَعِبَادِهِ، صَلاةً تَكُونُ لَهُ رِضًا، وَلَنَا بِهَا مَغْفِرَةً، وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّم كَثِيرًا طَيِّبًا.

الشرح

أَحْمَدُهُ على تواتر إحسانه	أي توالي وتتابع إحسانه وجوده، ولايزال العبد في إحسان يتبعه إحسان.
وقديم نِعَمِه	أي لم يزل ولايزال متصف بالجود والكرم والنعم، وهذا الإعتراف بالمنن والنعم جزء من حمد الله وشكره، كما في حديث النبي: "أبوء لك بنعمتك عليَّ".
عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ	ينبغي للعبد كلما ازداد علمًا ألا ينظر لنفسه، ولا إلى قوة حافظته وذكاءه، وإنما يحمد الله وينسب الفضل إليه، فكم من إنسان أكثر ذكاءً منه، ولم يتفضل الله عليه بالفهم والحفظ مثله.
وَالشُّكْرَ عَلَى مَا	وهذا اعتراف منه بعظيم نعائم الله عليه، لذا قال الإمام الشافعي:

تَفَضَّلَ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ	{الحمد لله الذي لا يؤدّىَ شكرُ نعمةٍ من نِعَمه إلا بنعمةٍ منه توجب على مؤدي ماضي نعمه بأدائها نعمةً حادثةً يجبُ عليه شكره بها}

قال المصنف

أما بعد:

فَإِنِّي قَائِلٌ – وبالله أَثِقُ لِتَوفِيقِ الصَّوَابِ مِنَ القَولِ والعَمَل، ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ –:

أَنْزَلَ اللهُ عز وجل الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ – صلى الله عليه وسلم –، وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمَ خَلْقَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ: أَنَّ الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ، وهُدًى لِمَنِ اهْتَدَى بِهِ، وغِنًى لِمَنِ اسْتَغْنَى بِهِ، وَحِرْزٌ مِنَ النَّارِ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَنُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ.

الشرح

الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ	أي مانع من الهلاك، فمن اعتصم بالقرءان نجا وسلم.
وغِنًى لِمَنِ اسْتَغْنَى بِهِ	مَن استغنى بالقرءان عن غيره أغناه الله، وليس الغنى غنى المال فغنى المال لايشبع منه طالبه، أما غنى النفس فهي محض فضل من الله. عن أنس قال النبي: { لَوْ كانَ لِابْنِ آدَمَ وادِيانِ مِن مالٍ لابْتَغَى وادِيًا ثالِثًا، ولا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللَّهُ علَى مَن تابَ.} صحيح مسلم
وَحِرْزٌ مِنَ النَّارِ لِمَنِ اتَّبَعَهُ	أي من اتبع القرءان وعمل به وقاه من النار وحماه.
وَنُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ	أي يهتدي به الناس في الظلمات ويعصمهم من الزلل.
وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ	القرءان شفاء من أمراض الشهوات والشبهات، فالشبهات قادحة في العلم، والشهوات قادحة في العمل.
وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ	هدى أي للعلم النافع، والعمل الصالح، ورحمة فيه تنبيه على ما يترتب على العمل بهدايات القرءان من خير

	وبركات وإحسان، وإنعام في الدنيا والآخرة.

قال المصنف

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ الكريم خَلْقَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ فَيُحِلُّوا حَلالَه، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، ويقولوا: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧].

ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ: النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَالدُّخُولَ إِلَى الْجَنَّةِ.

ثُمَّ نَدَبَ خَلْقَهَ – إِذَا هُمْ تَلَوْا كِتَابَهُ – أَنْ يَتَدَبَّرُوهُ، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ بِقُلُوبِهِمْ، وَإِذَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ أَحْسَنُوا اسْتِمَاعَهُ. ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، فَلَهُ الْحَمْدُ.

ثُمَّ أَعْلَمَ خَلْقَهَ: أَنْ مَنْ تَلا الْقُرْآنَ، وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةَ مَوْلاهُ الْكَرِيمِ، فَأَنَّهُ يُرْبِحُهُ الرِّبْحَ الَّذِي لا بَعْدَهُ رِبْحٌ، وَيُعَرِّفُهُ بَرَكَةَ الْمُتَاجَرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

"الشرح"

وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ فَيُحِلُّوا حَلالَه، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ،	القرءان فيه آيات محكمات وآيات متشابهات، فالمحكمات وصفها الله بأنها أم الكتاب، وهي التي عليها المرجع والمعول، والمتشابه نؤمن به ونرده الى المحكمات، ومنه تشابه مطلق ومنه كيفية صفات الله لايعلمها إلا هو، ومنه تشابه نسبي: يعلمه الراسخون في العلم وهو كثير. قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾}ال عمران
وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ	الأمثال الصريحة في القرآن العظيم ستةً وأربعين مثلًا، في أربع وعشرين سورة، فيها الكثير من المعاني والإعجاز، والبيان

	والتبيان، والخير، فحين تشتمل الآية من القرآن الكريم على مَثَلٍ صريح، فينبغي عندها كثرةُ التفكر والتدبر والاستنباط منها؛ لتكون يسيرةَ الفهم بعد بيانها وتفصيلها، ومِن ثَمَّ تكون سببًا في الهداية، وهذا ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله؛ فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: (عقَلتُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أَلْفَ مَثَلٍ) ، و"قال بعض السلف: إذا سمعتُ المثلَ في القرآن فلم أفهَمْهُ، بكيتُ على نفسي؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]"

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُهُ وَمَا سَأَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ بَيَانُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –، وَمِنْ قَوْلِ صَحَابَتِهِ رضي الله عنهم، وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَا أَذْكُرُ مِنْهُ مَا حَضَرَنِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، واللهُ الْمُوَفِّقُ فِي ذَلِكَ. قَالَ عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)} [فاطر].

"الشرح"

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ	التلاوة أي الاتباع والعمل والتعليم. كما قال النبي: { خيركم من تعلم القرآن وعلمه}
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ	إقامة الصلاة عمل بالقرءان، والإقامة معناها أداء الصلاة ظاهرا بالاركان والشروط والسنن وباطنًا بالخشوع.
وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ	اقتران الصلاة بالصدقة، لأن الصلاة احسان مع الله، والصدقة احسان الى المخلوق.
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ	أي تجارة رابحة لاخسران فيها.
غَفُورٌ شَكُورٌ	غفور للذنوب شكور للحسنات

قال المصنف
وقَالَ عز وجل: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)} [الإسراء].

"الشرح"

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ	وجوه هداية القرآن للتي هي أقوم، في كل جانب من جوانب الحياة، فيما يتعلق بأمور السياسة والحرب والسلم، وأمور الاجتماع والأسرة، وما يتصل بالعبادات والمعاملات، وما إلى ذلك. وبينت هذه الآيات أن الناس مع هدايات القرءان قسمين: الأول: مهتدي فبشرهم بالجنان. الثاني: ضال فمآله النار وبئس القرار.

قال المصنف

وقَالَ عز وجل: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)} [الإسراء].

"الشرح"

شِفَاءٌ	الشفاء يشمل –كما قال أهل العلم كالحافظ ابن القيم وغيره: **أولًا**: شفاء الأرواح من الشبهات والضلالات، والشرك والجهل والرّيَب، **ثانيًا**: شفاء للأبدان من عللها وأوصابها فيُستشفى بالقرآن، والنبي ﷺ قال للصحابي عندما رقى اللديغ بالفاتحة: وما أدراك أنها رقية. وهنا قال: "شفاء"، ولم يقل: دواء؛ فإن الدواء يصيب ويُخطئ بحسب موافقته للمحل، أما القرآن فالشفاء به يكون متحققاً إذا أقبل العبد عليه إقبالاً صحيحاً.
وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ	خص المؤمنين بالذكر لأنهم هم الذين يقبلون على هداياته وينتفعون بها،
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا	لأن قلوبهم لم تُقبل على القرءان، ولم تحرص على الإستشفاء به والإنتفاع به، وأعرضوا عنه وعن الإهتداء به فزادهم خسارًا على خسارتهم.

قال المصنف:

وقَالَ عز وجل: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)} [يونس].

"الشرح"

يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ	الوعظ هو البيان المقترن بالترغيب والترهيب، لأنه جمع بين الخوف والرجاء، والترغيب والترهيب، الله -تبارك وتعالى- سماه موعظة، بما فيه من العقائد والأحكام، وبما فيه من ذكر الجنة والنار، وما فيه من ذكر القصص والأخبار والأمثال والعبر، وذلك في كتاب الله -تبارك وتعالى- يقال تارة للأحكام، فإن الله -تبارك وتعالى- لما ذكر الربا: فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٧٥]. **هداية ... وعمل:** الله يعظ وكذلك النبي لذا لا ينبغي لطالب العلم أن يتنزه من الوعظ، وأن يترفع عن ذلك، ويظن أن هذا الوعظ يحط من مرتبته ومنزلته في العلم، فلربما توهم طالب العلم أن اشتغاله بالفقه أو الحديث أو التفسير أو غير ذلك أن ذلك يغنيه عن الاشتغال بالوعظ؛ لأن ذلك صنعة من لا يُحسن العلم، وهذه صورة غير منضبطة للوعظ فالوعظ في كل أمور الدين.

قال المصنف:

وَقَالَ عز وجل: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥)} [النساء].

وقال عز وجل: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)} [آل عمران].

وَحَبْلُ اللهِ هُوَ الْقُرْآنُ.

"الشرح"

قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ	برهان بمعنى الحجة الواضحة التي لا تدع في الحق لبساً، فهذا القرآن يحصل به بيان الحق بصورة جلية واضحة لا يبقى معها التباس فيه أو تردد في صحته، لذا من بلغه القرءان أقيمت عليه الحجة.
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا	تستنير به النفوس والقلوب والأرواح، ويقابل ذلك الظلمات حيث الكفر والضلال والجهالة. قال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢)}
وَاعْتَصَمُوا بِهِ	وورد الإعتصام في الوحي من وجهين: **الإعتصام بالله:** وهو الإلتجاء اليه وتفويض الأمر إليه وحسن التوكل عليه. **الإعتصام بحبل الله:** وهو التمسك بكتاب الله وسنة النبي ودين الله. ولانجاة للخلق إلا بالإعتصامين.

	عن زيد بن أرقم قال النبي: "كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض"

قال المصنف: وَقَالَ عز وجل: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)} [الزمر].
وقال عز وجل: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)} [ص].
وقال عز وجل: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣)} [طه].

"الشرح"

اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهًا	المقصود به التشابه العام، بمعنى: أنه يُشبه بعضه بعضاً في الحُسن والإتقان والبلاغة والفصاحة وما إلى ذلك من أوله إلى آخره
	فالذي في آية آل عمران غير هذا هو التشابه الخاص {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} وكذلك الإحكام العام في مثل قوله -تبارك وتعالى: أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ [هود:١] حينما وصفه بجملته أن آياته قد أُحكمت، أُحكمت بمعنى أنها متقنة ليس فيها خلل في ألفاظها، ولا في معانيها، فهو في غاية الإتقان، هذا الإحكام العام.
مَثَانِيَ	أي تثنى وتكرر فيه القصص والاخبار والاوامر لتفهم

تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ	لأن القرءان فيه مواضع زجر وتهديد وتخويف، وعقوبات وذكر للنار والأهوال فإذا سمعها أهل الإيمان خافوا.
ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ	لأن في القرءان آيات الرجاء والرحمة والثواب، ووعد بالجنة ونعيمها، فإذا سمعها المؤمنون لانت قلوبهم وطمعت في الثواب.
كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ	وصف القرآن بأنه مبارك، وهذه البركة تعني كثرة الخيرات وذلك؛ لكثرة ما حواه من العلوم والهدايات، وما تحصل به السعادة للعباد في الدنيا والآخرة، فمن أقبل عليه بحق فُتح عليه من أبواب البركات ما لا يُقادَر قدره من المعاني والهدايات والعلوم ونحو ذلك، ولذلك قال بعض أهل العلم: "اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات"، والأئمة الكبار كشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– كان يتحسر في آخر حياته أن اشتغاله في عمره الذي مضى لم يكن بالقرآن، كان من أكثر الناس اشتغالاً بالقرآن، وكان يفسر سورة نوح سنة كاملة، وكان يقرأ في الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ويذهب إلى بعض المساجد الخربة في دمشق ويمرغ وجهه بالغبار والتراب ويقول: "يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني" ومع ذلك كان يتحسر على أيامه التي مضت كيف لم يقضها مع القرآن.
لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ	أي ليتأملوا في دلالته، ليتحقق لهم الإنتفاع، فيعملوا ألبابهم وعقولهم، ويتكفروا في معانيه.
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا	أي أنزل الله كتابه بلسان عربي مبين، ونوَّع في الأساليب بين الخوف والتهديد، فيتقون الله ويخافون من وعيده وعقوبته، ويتذكروا اليوم الآخر.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تعالى وَعَدَ لِمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى كَلامِهِ، فَأَحْسَنَ الأَدَبَ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِ بِالاعْتِبَارِ الْجَمِيلِ وَلُزُومِ الْوَاجِبِ لاتِّبَاعِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ أَنْ يُبَشِّرَهُ عز وجل مِنْهُ بِكِلِّ خَيْرٍ، وَوَعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلَ الثَّوابِ، فقال عز وجل: {فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)} [الزمر] ... فكلُّ كَلامِ ربّنا حَسَنٌ لِمَنْ تَلاهُ، وَلِمَنِ اسْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هَذَا – وَاللهُ أَعْلَمُ – صِفَةُ قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ يَتَّبِعُونَ مِنَ الْقُرْآنِ أَحْسَنَ مَا يَتَقَرَّبُونَ به إِلَى اللهِ عز وجل، مِمَّا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ مَوْلاهُمُ الْكَرِيْمُ، يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ رِضَاهُ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، سَمِعُوا اللَّهَ قَالَ: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)} [الأعراف]، فَكَانَ حُسْنُ اسْتِمَاعِهِمْ يَبْعَثُهُمْ عَلَى التَّذَكُّرِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَسَمِعُوا اللهَ عز وجل قال: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)} [ق].

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ عز وجل عَنِ الْجِنِّ فِي حُسْنِ اسْتِمَاعِهِمْ لِلْقُرْآنِ، وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِمَا نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَوَعَظُوهُمْ بِمَا سَمِعُوا مِنْ الْقُرْآنِ بِأَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ الْمَوْعِظَةِ. قَالَ اللهُ عز وجل: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)} [الجن].

وقَالَ عز وجل: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)} [الأحقاف]

"الشرح"

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ	يتبعون كل ما فيه، فكل كلام الله حَسن، وهو بالغ في الحسن غايته.

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	اشترط الإستماع والإنصات، والفرق بين الاستماع والسماع، ان السماع أن يطُرق سمعك المسموع -يعني الصوت- ولو كان ذلك من غير طلب أو قصد، وأما الاستماع فذلك يكون عن إرادة وقصد فيتوجه السمع إلى هذا المسموع، وأما الإنصات فهو أن لا يشتغل عنه بغيره، فصار المطلوب عند قراءة القراءة القرآن الاستماع والإنصات.
وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ عز وجل عَنِ الْجِنِّ فِي حُسْنِ اسْتِمَاعِهِمْ لِلْقُرْآنِ	ذكر لنا مثلا بالجن ليبين أن حسن الإستماع للقرءان يفتح للعبد الهداية والرفعة فذكر هؤلاء الجن الذين صرفهم الله ليستمعوا النبي، ولو تأملنا حادثة الجن لوجدنا أنهم مكثوا فترة يسيره فاستمعوا للقرءان وأنصتوا فحصل لهم النفع ، وكم من إنسان لايوفق للهداية رغم طول مدة سماعه للقرءان.